

صورة الإسلام والعرب في الأدب الغربي

د/ بثينة أحمد أبو المجد (*)

إذا كان تعلم اللغة الإنجليزية يمكن الفرد العربي المسلم من التواصل مع العالم الذى فى معظمه يتحدث بها كلغة أصلية أو مكتسبة، فإن دراسة آدابها تمكنه من فهم الآخر ومعرفة أفكاره واستشعار نواياه، خاصة فيما يتعلق بممارسات وسياسة تلك القوة العظمى وحليفها اللصيق تجاه العالم العربى والإسلامى. فالأدب مرآة للمجتمع تعكس ما فيه من فكر وثقافة ومفاهيم ومعتقدات فضلاً عن أنه فى كثير من الأحيان يعبر عن سياسات ومواقف تبناها أو تصبو إليها الحكومات التى يتبنى إليها.

وعلى ذلك يتناول هذا البحث أعمالاً من الأدب الإنجليزى والأمريكى يتضح من دراستها أن فكرة المسئولية التنويرية ونشر الحرية والديمقراطية التى يدعيها الغرب الآن تجاه المشرق العربى الإسلامى ما هى إلا فكرة استعمارية قديمة انعكست فى آدابهم، ونهج استخدم لتبرير احتلال أرض الغير ونهب ثرواتها. كما تكشف الدراسة عما يضمه الغرب من كراهية للإسلام والعرب، ومن نوايا خطيرة لإخضاع الدول العربية - خاصة دول النفط - لسيطرته، إذ ينظر إليها على أنها شعوب متخلفة لا تستحق هذه الثروة ولا تؤمن على امتلاكها فضلاً عما تشكله من تحد اقتصادى وسياسى وفكرى يخشاه الغرب ويعمل على تقليصه والقضاء عليه ومن ثم تطويع تلك الدول لخدمة مصالحه.

لقد لعب الأدب الإنجليزى منذ الحروب الصليبية وحتى الزمن الحديث دوراً كبيراً فى تعزيز مواقف سياسية معينة يتبناها الغرب تجاه العالم العربى الإسلامى. فقد خدم ذلك الأدب الحملات الصليبية فى القرون الوسطى، ويتضح ذلك فى "حكايات كاتربرى" للكاتب الإنجليزى جيفرى تشوسر (١٣٤٠ م - ١٤٠٠ م)، إذا إن السممة المميزة لشخصية الفارس فى تلك الحكايات هى حماسه كمقاتل صليبي يحارب العدو المسلم ويقضى عليه.

(*) أستاذ الأدب الإنجليزى - رئيس قسم اللغة الإنجليزية - كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر.

وفي عصر النهضة ازداد الصراع بين دول أوروبا المسيحية والإسلام إثر نمو القوة العثمانية التي وصلت فتوحاتها قلب أوروبا حتى حاصرت فيينا عام ١٥٢٩م، وظل إخفاق العثمانيين في فتح تلك المدينة حدثاً مهماً احتفت به أوروبا وأبرزته في تاريخها. ولم يكن الفتح العثماني بمثابة تهديد لأوروبا فحسب بل لحوض المتوسط بأكمله، فقد سقطت رودس في ١٥٢٢م - ١٥٢٣م وقبرص في ١٥٧١م، وتقدم العثمانيون نحو الدانوب. وأرعب هذا الزحف العثماني دول أوروبا، حتى بريطانيا التي دوماً اعتبرت البحر حصناً طبيعياً لها لم تخل من شعور بالخوف من هذا الزحف. وعلى أساس ذلك فقد كان شاغل الكثيرين من أدباء الغرب في تلك الفترة زرع الكراهية تجاه "التركي" أو المسلم وتصويره على أنه غادر قاتل كافر لا دين ولا خلاق له. ويتضح ذلك بصفة خاصة في أعمال الكاتبين البريطانيين وليام شكسبير وكريستوفر مارلو^(١).

وبانتشار الإسلام وتغلغله داخل أوروبا شعرت تلك القارة أن هناك خطراً يهددها، فقد أزعج الغرب من تلك المفارقة بين مجتمع إسلامي متفوق بحضارته وعلومه وديانته المتفتحة وآخر أوروبي مسيحي طبقي كهنوتي يحكمه ويتحكم فيه رجال الكنيسة. فقد رفض الإسلام الكهانة بكل صورها، فلا وساطة بين الإنسان وربه ولا تمييز إلا بالتقوى. لذلك اعتبرت أوروبا الإسلام خطراً يهدد كيائها الديني والعقائدي ونذيراً بانهايار نظامها الاجتماعي والسياسي.

وقد أفرزت الكراهية للإسلام في المجتمع الأوربي صورة غير صادقة ومبتذلة لهذا الدين الخنيف وأتباعه، صورة تكونت عن جهل بتعاليم الإسلام وسوء فهم لمبادئه، وقد أقر بذلك قلة من كتاب أوروبا المنصفين مثل نورمان دانيال الذي قال في كتابه "الإسلام والغرب": "إن الغرب بنى صورته عن الإسلام على سوء فهم وكون عنه فكرة تختلف

(١) انظر:

Bothaina A. Abou El-Maged, "Image of Islam and Muslims in the Drama of William Shakespeare and Christopher Marlowe", *Fikr wa'lbda*, Vol. 20, September 2003, pp.27-52.

تماماً عما يعرفه المسلمون^(١). وأوضح إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" كيف ساهم أدب الغرب في تكوين وتعزيز العداء للإسلام عبر التاريخ^(٢).

وفي نهاية القرن السابع عشر وطوال القرن الثامن عشر نجد اهتمام الغرب بالمنطقة العربية قد زاد لأهداف توسعية استعمارية، فقد قوى الغرب وتضاءلت قوة المسلمين. ومنذ ذلك الوقت بدأت تسيطر على أوروبا المسيحية فكرة الهيمنة على باقى شعوب الأرض. وكانت حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٨٩م، كما يذكر رولين أرمور في كتابه "الإسلام، المسيحية والغرب"، بمثابة بداية الاستعمار الغربى لبلاد المسلمين^(٣). ولقد لعبت ترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة" إلى الإنجليزية دوراً كبيراً في جذب كتاب الغرب نحو العالم العربى المسلم مما زاد من أدب الرحلات المتعلق بتلك المنطقة. ولم يكن هذا النوع من الأدب إلا مسخاً للحضارة الإسلامية والشخصية المسلمة وتأكيداً للمفارقة العنصرية بين العربى / المسلم والأوروبى. فقد دأب أدباء الرحلات الأوروبيون، إما بسبب جهلهم بالواقع العربى المسلم أو تحاملهم عليه أو لأهداف سياسية أو دينية، على إطلاق تعميمات معظمها كاذبة عن هذا الواقع. ومثال على ذلك كتاب "هنرى موندريل" رحلة من حلب إلى القدس^(٤) (١٧٠٣م) الذى يتعت المسلمين بالتناق والشهوانية والعجرفة. وفي كتاب "التاريخ الطبيعى لحلب" (١٧٥٦م) يصف أسكندر راسيل المسلمين قائلًا: "إنهم يتسمون بارتكاب الآثام والإجرام، كأن هذا نتاج أصيل لمؤسستهم الدينية"^(٥). ولم تقتصر تلك الصورة السلبية للعربى المسلم على أدب الرحلات بل ظهرت فى الفروع الأخرى للأدب الإنجليزى. فقد ركز الأديب الأمريكى بيتر ماروكى فى روايته "جاسوس جزائرى فى بنسلفانيا" (١٧٨٧م) على المفارقة بين مجتمع أمريكى مسيحي متنور يراعى حقوق الإنسان وآخر عربى إسلامى

(١) Norman Daniel: "Islam and The West", P.270.

(٢) انظر: Edward Said: "Orientalism", P.60-81.

(٣) R. Armour: "Islam Christianity and the West", P.128.

(٤) انظر: S. Chew: "The Crescent and the Rose", P.109.

متخلف مستبد، وتؤدي تلك المفارقة في النهاية إلى أن يتحول بطل الرواية "محمد" إلى المسيحية ويعمل في مجال حقوق الإنسان في وطنه الجديد أمريكا.

وإذا انتقلنا إلى القرن التاسع عشر نرى اهتماماً واضحاً في الأدب الإنجليزي بالإسلام والشرق خاصة في مجال الرواية والشعر. وقد سلك أدباء تلك الفترة مسلك أسلافهم في التحامل على الإسلام والشخصية العربية أو المسلمة، فقد وصف ولتر سكوت المسلمين في رواية "التعويذة" (١٨٢٥م) بأنهم أمة دموية تنحدر من سلالة الشيطان الشرير^(١). وظهرت تلك الصورة المشوهة للمسلم في شعر الرومانسية، فقد صور الشاعر روبرت ساذي في قصيدته "رودريك، آخر القوطيين" (١٨١٤م) المسلمين قوماً دمويين مرتكبين لكل الأثام وقتلة لا ضمير لهم. وتحمل قصيدة الشاعر الرومانسي ب. شيلي "هياس" (١٨٢٢م) اعتقاداً بل رغبة في سقوط الإسلام فيقول:

مثلما طلع قمر محمد

فهو حتماً سوف يغرب

ودوماً سيبقى الصليب،

مثل قمر خالد لا يغيب،

هادياً لكل جيل^(٢). (*)

وإذا انتقلنا إلى الأدب الإنجليزي الحديث، الذي تركز عليه هذه الدراسة، نجد أدباء الغرب قد اعتمدوا في فهمهم للإسلام والمسلمين أو العرب على نفس المفاهيم المغلوطة والأنماط القديمة التي قدمت في العصور السالفة. ففي كتاب "رحلات في صحراء

(١) انظر: Walter Scott: "The Talisman", PP.20-38.

ولدراسة مستفيضة لتناول ولتر سكوت للإسلام والمسلمين في تلك الرواية، انظر:

Bothaina A. Abou El-Magd: "Sir Walter Scotte's The Talisman: A Re-reading from an Islamic Perspective", *Fikr Wa 'Ibda'*, Vol.20, September 2003, P.81-113.

(٢) Bryan P. Smith: "Islam in English Literature", P.202.

(*) قامت صاحبة البحث بترجمة الشعر والنصوص الإنجليزية التي اعتمدت عليها إلى العربية.

العرب' (١٩٣٦م) للكاتب تشارلز داوتى نرى المؤلف يقول إن 'دين الإسلام يميث جزءاً من الفهم الإنسانى ويصيبه بحالة من الخدر' ثم يلصق بالنبي الكريم محمد صفة الجهل البربرى والقائل الغادر المنغمس فى حياة مزواجة^(١). ويتناول كتاب 'أعمدة الحكمة السبعة' (١٩٣٥م) للرحالة ت. سى لورانس - المعروف بلقب 'لورانس العرب' - ثورة العرب ضد الأتراك فى عام ١٩١٨م، و الكتاب يتدارسه الأمريكيون والبريطانيون اليوم لعلهم يجدون طريقة للتعامل مع المقاومة العراقية^(٢). والدراسة الدقيقة لهذا الكتاب تبين أكاذيب وادعاءات واهية دسها الكاتب فى طيات كتابه لتشويه صورة العرب والمسلمين^(٣)، فتعصبه ضد العرب واضح فى وصفه لهم قائلاً:

'إنهم إما أسود أو أبيض، ليس فقط فى الرؤية وإنما فى داخلهم، أسود أو أبيض ليس فقط فى الوضوح ولكن فى المعارضة. أن أفكارهم تعيش بطريقة اسهل بين التطرف... فهم يتصفون بضيق الأفق وجمود العقل... لا يظهرون أى اهتمام بإبداع ولا يبدو عليهم أى هندام سواء فى العقل أو الجسد. وهم لم يخترعوا أى نظام فلسفى أو حتى أسطورى (ميثولوجيا)'^(٤).

ويصف اللورد كرومر فى كتابه 'مصر الحديثة' (١٩٠٨م) العرب بأنهم 'تماماً مثل طرقاتهم يفتقدون التناسق، كذابون، كسالى، محل ريبة وشك، يفتقدون الوضوح ونبيل الأخلاق... فهم مختلفون تماماً عن الجنس الأنجلو - ساكسونى.'^(٥)

وما يشير دهشة كل عربى ومسلم هو بقاء تلك الصورة النمطية المتبذلة للإسلام والمسلمين حتى سرت فى الأدب الإنجليزى المعاصر. فنجد فى كتاب 'بين المؤمنين : رحلة إسلامية' (١٩٨١م) للكاتب الإنجليزى ف. س. نايبول - الذى حاز على جائزة

(١) انظر : C.M. Doughy: "Travels in Arabia Deserta", Vol.11, P.405.

(٢) انظر جريدة الأهرام القاهرية ١١/٣/٢٠٠٤م، ص٦.

(٣) لكشف تلك الادعاءات والأكاذيب انظر: Issam Mousa: "An Arab View".

(٤) Introduction to C. M. Doughy, Travels in Arabia Deserta, Vol.1, P.22.

(٥) Edward Said: "Orientalism", P.38-39

نوبل للأدب في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١ - يسعى الكاتب لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، فهم في رأيه أمة ذات ثقافة قرون وسطى استيقظت فوجدت نفطاً وأموالاً ولم تجلب ديانتهم للعالم سوى نظاماً سياسياً يسوده الفوضى والعنف، فهي ديانة لم تقدم إلا نبياً يقوم بتسوية كل أمر ولكنه غاب عن الوجود منذ زمن بعيد^(١).

وإذا نظرنا إلى الرواية الإنجليزية في أوائل القرن العشرين نجد تلك التي تتناول المشرق العربي الإسلامي قد خدمت فكراً سياسياً واستراتيجية استعمارية تبتتها بريطانيا تجاه الشرق في تلك الفترة ومن ثم فقد أصبح تشويه صورة الإسلام والمسلمين جزءاً من مخطط غربي لتبرير سياسات الهيمنة والتوسع واحتلال أرض الغير ونهب ثرواتها. وركز كتاب هذا النوع من الرواية على خلق مفارقة بين الأوروبي المتحضر "والشرقى" الهمجى "فجاءت تؤكد الصراع بين الحضارات والصدام بين الشعوب والأجناس. ومن الروايات التي تمثل هذا الاتجاه رواية "كيم" (١٩٠١م) للكاتب روديارد كبلنج و"مرور إلى الهند" (١٩٢٤م) للكاتب ي.م. فورستر، و"منبود في الجزر" (١٨٨٨م) و"لورد جيم" (١٩٠٠م) للكاتب جوزيف كونراد وكلها تؤكد الفارق الحضارى بين الأوروبي والشرقى.

ومن ثم فقد ظهر العربي أو المسلم في هذه الروايات إما عبداً تابعاً لسيدته الأوروبي أو خارجاً عن القانون أو غداً مجرمًا شريراً، وظهر الأوروبي متحضراً ينظر باستعلاء إلى أهل الأرض التي يحتلها، وعلى ذلك فالعلاقة بينهما علاقة بين المحتل وصاحب الأرض، بين سيد وعبد، بين حاكم ومحكوم، بين الأرفع مقاماً والوضيع، بين المتحضر والهمجى الوحشى، بين الأوروبي والشرقى!! ويلخص كونراد نظرة الأوروبي للعربي والمسلم في رواياته بأن العرب كلهم جبناء، كذابون... والمسلمون وثيون... متوحشون^(٢).

(١) V.S. Naipaul, "Among the Believers: An Islamic Journey", P.80, 355.

(٢) J. Conrad: "Almyer's Folly", P. 37, 60. And "An Outcast of The Islands", P.128. انظر:

وقد أكد فورستر في روايته "مرور إلى الهند" التباعد الفكري والحضارى بين الشرق والغرب، فنرى في نهاية الرواية فشل المحاولة التى قام بها "عزيز" الهندى المسلم للتصالح مع "فيلدينج" البريطانى.. فقد رفضت الأرض والسماء ذلك، فثارت الأولى مخرجة صخورها مرغمة السائرين أن يسلك كل منهما طريقاً منفرداً وصاحت الثانية: لا لا. ليس هناك^(١). وهذا ما أكده كبلنج صراحة فى قصيدة "أغنية الشرق والغرب" (١٨٩٠م) التى تتجلى فيها عنصرية الجنس والثقافة والدين حيث يقول فى مطلعها ونهايتها:

الشرق هو الشرق، والغرب هو الغرب وأبدأ لن يلتقى الاثنان
حتى تقف الأرض والسماء أمام الرب يوم الحساب^(٢).

وقد صورت تلك الروايات الشرق متخلفاً يحتاج لحضارة الأوروبى، وأكدت ضرورة التدخل الأوروبى، وبررت هذا التدخل على أن الهدف تنويرى.. لجلب الحضارة والحرية إلى تلك الأماكن المتخلفة!! وهذا ما دفع كبلنج أن يخلق عبارة "عبء الرجل الأبيض"، أى مسئولية التنويرية تجاه الشرق، وقد جعل من هذه العبارة عنواناً وموضوعاً لقصيدة كتبها عام ١٨٩٩م يبحث فيها الرجل الأبيض على المضى قدماً فى حمل هذا العبء. فيقول:

إمض أيها الرجل الأبيض فى حمل هذا العبء

فى حروب وحشية لتحقيق السلام

أشبع هؤلاء الجوعى

واقض على هذا المرض،

وعندما توشك على إنهاء هدفك

الذى هو بمثابة إنهاء للآخرين

E.M. Forster: "A Passage to India", P.317 (١)

R. Kipling: "Kipling's Verse", P.233. (٢)

قف وراقب هؤلاء الكسالى

وهم يدمرون بحماقتهم الوثنية كل أمل لديك^(١).

فالشرق فى نظر كبلنج مكان مريض وثنى متخلف، يحتاج إلى "الرجل الأبيض" ليجلب له السلام والحضارة والتنوير ولو أدى ذلك إلى "حروب وحشية". وجدير بالملاحظة أن كبلنج - تماماً مثل قيادات واشنطن ولندن الحالية - يعتقد أو يحاول إيهام الآخرين أن الرجل الأبيض يضحى بحياته من أجل تحقيق الحرية والتقدم للآخرين !!

وفى قصيدة أخرى بعنوان "أنشودة الرجل الأبيض" (١٨٩٩م) يرحب كبلنج بسياسة بريطانيا الاستعمارية لحكم الشرق، وقد ظهرت بوضوح النوايا العنصرية لإخضاع تلك الشعوب حين يقول:

الآن.. هذا كأس شراب الرجل الأبيض

حين يرحل ليعيد الأمور إلى صوابها

وهذا كأس ذلك العالم القديم

وحشى وقوى فى كراهيته^(٢).

فالهدف من غزو تلك الشعوب تنويرى، كما يحاول الشاعر أن يؤكد، فقد ضحى الرجل الأبيض ورحل عن وطنه "ليعيد الأمور إلى صوابها"! والتأمل فى تلك المعانى يرى أن فكرة كبلنج "عبء الرجل الأبيض" ما هى إلا نفس الفكرة التى يطبقها الغرب الآن تجاه العالم العربى والإسلامى، وما الغزو الأنجلو أمريكى لأفغانستان والعراق وغيره من الممارسات والسياسيات تجاه هذا العالم إلا دليل على ذلك، فطالما تشدق قادة الائتلاف أنهم غزوا العراق بهدف تحقيق الحرية للشعب العراقى. ويمكننا فى هذا السياق أن نذكر كلمات جاءت ضمن تعليق الرئيس بوش على المواجهات المتصاعدة

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٠.

في مختلف أنحاء العراق بين قوات الاحتلال والمقاومة العراقية فيقول: 'من المهم أن يكون هناك عراق حر، حتى يتحقق السلام في العالم، والتحديات التي تواجهها القوات الأمريكية في العراق، سببها أن أناساً يكرهون الحرية.'^(١) فهل بعد احتلالهم لبلد ضد الإرادة الدولية والشرعية وحصادهم للأرواح دون أدنى إحساس بأن هؤلاء بشر يستطيع أن يصدق عاقل ما تدعيه أمريكا وحليفها اللصيق - أنها أتت من أجل أن تنشر الحرية؟ إنها في الواقع "فظائع وعذابات يتعرض لها ناس بسطاء شاء حظهم العاثر أنهم يعيشون فوق ثروة استراتيجية يحتاجها الحلم الإمبراطوري الأمريكي للسيطرة على العالم."^(٢) وهكذا يعيد التاريخ الاستعماري نفسه، وتحت نفس الشعار الكاذب، شعار نشر الحرية والحضارة.

وفي اتجاه آخر للرواية الإنجليزية الحديثة يركز على العرب والنفط فقد جسدت رواية "على الحافة" (١٩٧٧م) للكاتبين الأمريكيين روبرت وبنجامين شتاين تلك الأطماع الاستعمارية في المنطقة العربية الإسلامية وصورت العرب أعداء غير جديرين بثقة الغرب ودول النفط العربية مخادعة لا تعير اهتماماً لمصلحة العالم، فهم يتوحدون فقط في اتخاذ قرارات تضر بمصالح الغرب. ونرى مندوب الأوبك لدولة عربية وقد شغل نفسه بالانتقام من الغرب لأسباب شخصية تافهة. وتنتهي الرواية بانطباع خطير وهو ضرورة إخضاع الدول العربية الغنية بالنفط لسيطرة الغرب^(٣) ! وهو انطباع حوله الغرب الآن إلى استراتيجية عسكرية وسياسية يتعامل بها مع الدول العربية والإسلامية.

وفي رواية "الواحة الهالكة" (١٩٦٠م) للكاتب البريطاني هاموند اينس يتناول

(١) انظر: صحيفة الأهرام القاهرة ١٠/٤/٢٠٠٤، ص ٨.

(٢) انظر: مقال عماد غنيم في صحيفة الأهرام القاهرة ٤/٥/٢٠٠٤م، ص ١٠.

(٣) انظر:

الكاتب النفط والسياسة في الجزيرة العربية، ويشبه بطل الرواية "لورانس العرب" فهو ضابط بريطاني عاش بين العرب ولكنه يصب كل اهتمامه على النفط في إحدى مناطق الربع الخالي للجزيرة. ويركز الكاتب على أن الدخيل الغربي الذي جاء للتنقيب عن النفط إنما جاء لمصلحة الدولة العربية وأنه يسعى لإنقاذ تلك المنطقة من الهلاك، فهي صحراء جرداء لا عشب فيها ولا ماء. ونرى في الرواية الأجانب الباحثون عن النفط يسخرون من المسلمين لارتباطهم الأسرى ويسعون إلى إشعال الفتنة بين تلك الأسر ثم يدعون إلى تدخل عسكري بريطاني لحل النزاع!!^(١) صورة مصغرة لاحتياك أكبر ونهج سلكه الغرب للموقعة بين العرب أو المسلمين ثم التدخل العسكري بحجة حل النزاع، وهو في حقيقة الأمر تدخل يضم نوايا الاحتلال ونهب الثروات.

وتتناول رواية "الجمعة السعيدة" (١٩٨٧م) للكاتب الأمريكي روبرت لورانس هولت حرباً بين العراق وإيران استمرت اثنتي عشرة سنة وانتهت بهزيمة العراق وحشد إيران قواتاً كبيرة على حدود السعودية والكويت لمهاجمة البلدين. وتتسع دائرة الصراع خلال أسبوع واحد عندما تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بغزو السعودية تحت راية مسيحية تسمى "الجمعة السعيدة" وهي في المسيحية الجمعة السابقة لعيد الفصح. وتتسع أيضاً دائرة الحرب لتشمل كل دول الخليج. وتعمق الرواية الإحساس بالكراهية بين العرب / المسلمين بعضهم وبعض وبينهم وبين الغرب الذي يغزو بلادهم ويشعل نار الفتنة والصراع فيها، وكأن الكاتب يكشف عن مخطط لغزو دول النفط العربية فضلاً عن النية المبيتة لاستهداف مقدسات المسلمين التي صورها صراحة الكاتب الأمريكي أ.ج. كوينيل في روايته "المهدي" (١٩٨٢م) حيث تخطط المخابرات الأمريكية للهجوم على الكعبة المشرفة^(٢)!

وتمثل رواية "صلاح الدين" (١٩٧٦م) للكاتب الأمريكي أندرو أوزموند إنجازها آخر

(١) انظر على شبكة الإنترنت موقع: Hammond Innes, "The Doomed Oasis".

(٢) انظر مواقع: Robert L. Holt, "The Good Friday"; A.J. Quinell, "The Mahdi".

في الرواية الحديثة ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين يتناول الصراع العربي الإسرائيلي. ودأب كتاب هذا النوع من الرواية على تحقير العرب وتصويرهم على أنهم إرهابيون أشرار في حين تصوير الإسرائيليين أبطالاً نبلاء. وعلى ذلك تؤكد صلاح الدين "سمو الإسرائيليين على العرب فيقول اليهودي في الرواية: "إن السبب وراء تأييد المسيحيين لليهود يرجع إلى أن اليهود أقرب إلى المسيحيين من حيث النوع كبشر بخلاف العرب الذين ينتمون إلى نفس الأسطيل الذي منه عاد وثمود وكل تلك العصاة الإجرامية^(١)". وتحمل الرواية رغبة في تدمير العرب تظهر بصفة خاصة عندما يقول الراوى: "إن إسرائيل ما زالت قليلة من حيث عدد السكان، أما العرب فهم ينتشرون من العراق حتى المغرب"، ويعقب هذه الجملة مباشرة قراءة كاهن في الرواية لحديث ورد لموسى في التوراة يقول فيه: "لا تخشاهم، فإن ربك معك، وهو رب عظيم جبار، سوف يدفع بهذه الشعوب أمامك تدريجياً. سوف يخضع ملوكهم لك وسوف تبيد أسماؤهم من على الأرض^(٢)". ثم يعلق الراوى بعد ذلك مباشرة قائلاً: "وقد زال على الأقل هؤلاء الفلسطينيين من الخريطة، لقد صدق هذا الرب الجبار وعده^(٣)".

فالصراع بين العرب والإسرائيليين كما تصوره رواية صلاح الدين 'صراع بين الشر (العرب) والخير (الإسرائيليين) فقد وظف الفلسطينى صلاح الدين ضابطاً بريطانياً اسمه مارسون ليقود عملية تخريبية داخل إسرائيل، ويبرر الأخير مساندته للفلسطينيين بأنه "يجب فقط أن يحمى الضعفاء من المخلوقات، تلك الطبقة التى تشمل النساء والكلاب والخدم والآن الفلسطينيين". وتنتهى الرواية بتخلى بطلها عن مهمته بل يغير من خطته كي يجهض تلك المهمة. وقد تحيز الكاتب تماماً للإسرائيليين ولم يذكر أبداً أن الصراع بينهم وبين العرب إنما هو صراع بين أصحاب الأرض ومحتل غاصب.

وإذا انتقلنا إلى المسرح الأمريكى نجد بعضاً من الكتاب يناهضون سياسة أمريكا

(١) انظر: Andrew Osmond: "Saladin", P.66

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧.

الاستعمارية. من أبرز هؤلاء الكتاب أرثر كوبيت الذي تمثل مسرحيته "هنود" (١٩٦٩م) صرخة غاضبة تدين المعاملة الوحشية التي لاقاها سكان أمريكا الأصليين على يد الدخيل الأبيض وتربط بين ما حدث مع الهنود الحمر وما حدث في فيتنام. وعلى الرغم من أن المسرحية لم تتناول العرب أو المسلمين، وأنها كتبت منذ حوالي ستة وثلاثين عاماً إلا أنها في حد ذاتها تكاد تكون أعمق من كل الدراسات النظرية عن السياسة الأمريكية تجاه الآخر سواء في الماضي أو الحاضر، فهي في مجملها تحمل رسالة إدانة إلى كل من نسول له نفسه سلب أرض أو تحقير وتدمير حياة وحضارة الآخر، كما أنها تكشف زيف الشعارات التي يرفعها المسئولون الأمريكيون لتبرير الغزو والإحتلال. وقد دفعني هذا التشابه الكبير بين ما تصوره المسرحية وما يرتكبه الأمريكيون من فظائع في العراق أن أتناولها ببعض الإسهاب.

يحكى أرثر كوبيت في حوار له مع الناقد المسرحي جون لار^(١) كيف جاءت فكرة مسرحية "هنود" فيقول أنه في مارس ١٩٦٦ بينما كان يستمع لسيمفونية يصطدم فيها الإيقاع الهادي بإيقاع مارش عسكري وهو يقرأ تصريحاً للجنرال وليام ويستمورلاند قائد القوات الأمريكية في فيتنام يعبر فيه عن أسفه لمذبحة ارتكبتها قواته ضد مدنيين قاتلاً: "لقد قتل أناس كثيرون، هذه هي الحرب، إن قلوبنا قد انخلعت لما حدث لهؤلاء الضحايا الأبرياء، لكن الحرب ليست لعبة. إنها صعبة وتتطلب قرارات صعبة، وعلى المدى البعيد اعتقد أن ما حدث سوف تكون له تبريراته"، حيثئذ استطرد كوبيت مخاطباً نفسه: "لا! إن قلوبكم لم تنخلع لما حدث لهؤلاء الضحايا الأبرياء، لأن هناك خطأ ما". في نفس الوقت قفزت إلى مخيلة كوبيت فكرة الهنود الحمر والرجل الأبيض وفكر في كتابة مسرحية - كما يقول - "تتناول ما يحدث عندما تفرض قوة اجتماعية وسياسية إرادتها على إرادة قوة أدنى منها وتختلق ما يبرر ذلك، تماماً كما فعلنا مع الهنود الحمر،

(١) نظر هذا الحوار بأكمله في صفحات متتابعة غير مرقمة داخل المسرحية ذاتها، انظر طبعة:

Arthur Kopit: "Indians", New York, Batam, 1971.

وكما حاولنا أن نفعل مع الفيتناميين، لقد فرضنا إرادتنا عليهم ثم بررنا ذلك أخلاقياً عندما أضفينا على فعلتنا هذه صبغة إلهية زاعمين أن ما نفعله أخلاقى ويخدم المصلحة العامة، وقد بدا لى أنه من الممكن أن يفهم الشر على أنه خير. وبدأ كوييت بالفعل كتابة مسرحية 'هنود'.

والمسرحية ليست وثائقية أو تاريخية إنما يريد الكاتب من خلالها أن يعقد موازنة بين الماضى والحاضر الأمريكى. وعلى ذلك فهى تصور الدوافع المتناقضة فى سياسة أمريكا تجاه الهنود الحمر، فهى تدعى السعى لمساعدتهم وتعمل فى نفس الوقت على إبادةهم. وهنا يكمن التشابه بين ما فعله الأمريكيون مع الهنود الحمر وما حدث فى فيتنام. وقد كتبت المسرحية وقت الحرب على فيتنام فأراد بها كوييت كما يقول فى حوارها "أن يفضح التورط الماجن لأمريكا فى فيتنام". فهى تصور معاناة الهنود الحمر ومدى الدمار الذى أصاب حياتهم، وأراد أيضاً أن يعقد موازنة بين ما حدث فى الماضى وما يحدث فى الحاضر وأن يتحدى تلك الفوضى من التصريحات المغايرة للحقيقة والتبريرات الواهية للحرب على فيتنام، فيقول كوييت "إن القول أننا نقاتل من أجل حرية الفيتناميين هو فى حد ذاته أمر مضحك. فعندما تفرض حكومة نفسها على بلد آخر فإن ذلك يعد قمعاً للحرية. لذا فإن هناك تطابقاً ملحوظاً بين الموقف فى فيتنام والموقف مع الهنود".

وتصور المسرحية فى إطار درامى حرب الإبادة التى قام بها الأمريكيون ضد الهنود الحمر، كيف أبادوا ماشيتهم مصدر غذائهم ولباسهم ليموتوا جوعاً وبرداً، كيف اعتبروهم عدواً يجب القضاء عليه، فنقلوا إليهم عمداً أمراضاً فتاكة لم يعرفوها فى أغطية ومياه ملوثة ولم يقدموا لهم الدواء، كيف علموهم شرب الخمر ليثملوا ويصبح الكسل صفتهم، كيف خدعوهم حين قاموا بترجمة المعاهدات معهم بطريقة خاطئة حتى يفقد الهنود القدر الأكبر من الأرض، وكيف كانت توقع تلك المعاهدات بعد أن يقدم لهم الأمريكيون الخمر كشراب فيوقع الهنود على ما فيه صالح الطرف الآخر غير مدركين ما يفعلون، ثم كيف أبادوهم بلا إنسانية فى أول مذابح جماعية عرفتها البشرية.

وفي المشهد الأخير من المسرحية يظهر القائد العسكري الذي ذبح الهنود في مقابلة مع الصحافة، وكأنه مؤتمر صحفي اعتدنا أن نراه اليوم بعد كل "انتصار" أمريكي، وفي إشارة واضحة إلى ما يحدث في فيتنام من تدمير، يقول الضابط أنه تم إبادة كل القبيلة. ثم يسأله الصحفي: "لقد خسرتنا تسعة وعشرون من رجالنا فكيف قتلتم من الهنود؟" ويجيب الكولونيل الأمريكي: "لقد أبادناهم، ولم نستطع حصر عدد القتلى فقد سقط الجليد وغطى جثثهم". ورداً على سؤال: "لقد أشار بعض الناس إلى انتصاركم هذا على أنه مذبحه، فما شعوركم تجاه هذا؟" ويرد الكولونيل: "هناك دائماً أناس يصفون النصر العظيم على أنه مذبحه، فهم يفضلون أن يسقط منا الكثيرون قتلى حتى لا تكون مذبحه". ثم يسأله صحفي آخر: "ألا تعتقد أن الخطوة التي أقدمتم عليها كانت صعبة؟" وهنا يضع كوبيت نفس تصريح الجنرال وليام ويستمورلاند عن مذبحه فيتنام على لسان القائد العسكري لتلك المذبحه، ثم يحاول القائد تبرير ما يحدث قائلاً: "إذا تقاعسنا في أداء هذا الواجب فقد تستمر المصادمات سنيناً مما يكلف بلدنا الملايين فضلاً عن الخسائر في الأرواح". وأخيراً يسأله الصحفي: "هل تعتقد أن الحرب مع الهنود قد انتهت؟"، يرد الكولونيل: "إنها أخيراً انتهت وسوف نبدأ تلك المهمة الصعبة وهي إعادة البناء! "وكان المسرحية سيناريو يصور "فيتنام بوش" ومذابح شارون التي ترتكب تحت حماية أمريكية. وتنتهي المسرحية بمقولة ذات مغزى لأحد الهنود وهي "إنه من السهل دفن الموتى ولكن ليس من السهل التخلص منهم".^(١)، فما يرتكب من فظائع في حق الشعوب لا ينساه التاريخ ولا تغفله تلك الشعوب بل يولد صداماً وأحقاداً تباعد بين الأجناس والحضارات.

وجدير بالملاحظة تلك التبريرات التي جاءت على لسان أحد المسؤولين عن إبادة الهنود في المسرحية فيقول: "لم يعرف محبوا الخير كم تكبدنا من مشاق وخسائر في الأرواح في محاولة التعامل بالعدل مع الهنود، وكم تحملنا من ممارسات بشعة لهؤلاء

(١) المرجع السابق، ص ٩٩-١٠٢.

المتوحشين.^(١)، فهي تبريرات واهية جاءت من الواقع، فالهنود في حقيقة الأمر لم يكونوا أبداً كذلك، كما يقول جون لار نقلاً عن جورج كاتلين الذي عاش بينهم ثمانى سنوات، فهم "لم يدخلوا في معركة مع الرجل الأبيض إلا إذا بدأ هو بمهاجمتهم". ويفسر كويت تلك التبريرات قائلاً: "أن مشكلة أمريكا الحقيقية تكمن في تلك المحاولة المستمرة لتجميل تاريخنا، ومحاولة خلق أسطورة نستطيع من خلالها أن نحول الواقع الوقح إلى وسيلة شرعية لإدراك الآمال والأحلام، فنحن نختلق لأنفسنا تاريخاً لنبرر العنف وعدم الالتزام بالشرعية.. أن مشكلة فيتنام ما هي إلا أعراض لشيء امتدت جذوره في الماضي الأمريكى.. إنه التضليل. فأنا لا أتصور أن يسمح الأمريكيون للهنود بامتلاك مساحات كبيرة من هذه الأرض فيها ذهب ونفط... وما أثارنى هو تلك التبريرات لما كان يحدث على أنه كبرياء قومى ومصصلحة للجميع، فلم يكن مقبولاً أن يقولوا صراحة أنه يوجد ذهب ونفط فى هذه الأرض، لذا نحن فى حاجة إليها، فلنأخذها لأننا الأقوى!"

ويقول كويت فى حوار مع جون لار معلقاً على التشابه الذى يراه بين الموقف الأمريكى تجاه الهنود وذلك فى فيتنام: "كان الرجل الأبيض فى الأساس يتعامل مع ثقافة غريبة عليه تماماً. وهذا ما أثر فى نفسى وجعلنى أرى تشابهاً مع ما يحدث فى فيتنام. فنحن نرسل جنودنا لفيتنام وهم لا يعرفون شيئاً عن هؤلاء الناس، فهم يعتبرون قتل الفيتناميين شيئاً سهلاً لأنهم فى نظرهم دون البشر.. فهم ليسوا منا. لقد كان من الصعب على الرجل الأبيض أن يعتبر الهنود إنساناً مثله. وهذا متطابق مع فيتنام. إنه عدم استيعابنا لموقف الشرقى تجاه الموت، تجاه الحياة، تجاه الدين، وعدم الأخذ فى الاعتبار كم ظل الفيت كونج (المقاومة الفيتنامية) يقاتل وكم يساوى النضال بالنسبة لشعب". ويعلق كويت على نقل الرجل البيض أمراضاً فى أغطية ملوثة ليموت الهنود قائلاً: "نستطيع أن نقارن بين ذلك وبين استخدام الأسلحة

(١) المرجع السابق، ص ١٠٨.

الكيمائية في فيتنام وما نصنعه الآن في مجال الأسلحة البيولوجية والجرثومية، لم نكن في حربنا مع الهنود قد صنعنا بعد أسلحة جرثومية، ولكن عندما اكتشفناها عرفنا ماذا نفعل بها!! "وهنا يقول جون لار: "فنحن نقاتل في حروب خارج بلدنا لنثبت كرامتنا وعظمتنا كأمة. ولكن الإثم والمجون قد ظل معنا داخل أرضنا." ويرد كويت: "هذا صحيح. وهذا ما تصوره مسرحية "هنود".

هذا ما قاله وصوره كويت، هذا الأديب الحساس الذي نظر فيما تمارسه بلده من فظائع في حق الشعوب، وتأمل الصور في الصحف وعلى الشاشة، وامتلاً بالإحساس برعب الحرب والدمار، وتابع بجاجة الكذب وتزييف الحقائق وغياب الضمير والتجريد من الوطن والتعصب والعنصرية والغدر والتعذيب، فقد نشر في مسرحيته صوراً لتعذيب الأسرى في فيتنام وأخرى للهنود الحمر تماثل تماماً ما نراه اليوم في سجون العراق وغيرها. وأخيراً علينا أن ندرك كما أدرك كويت إنه من المستحيل على مرتكب تلك الفظائع في حق البشر أن تكون رسالته الحقيقية نشر الحرية والديمقراطية. وأترك للقارئ الواعي أن يستفيض في الموازنة بين ماضٍ أمريكي صورته كويت كانت فيه فيتنام هنود الستينيات من القرن الماضي وحاضر أمريكي أصبح فيه العرب والمسلمون هنود هذا العصر.

وما حدث مع الهنود الحمر حدث أيضاً مع العبيد السود الذين انتزعوا من أرضهم في أفريقيا وسخروا لخدمة المستوطنين البيض وبناء أمريكا الجديدة.. فكما يقول آرثر كويت في الحوار السابق ذكره مع الناقد جون لار "لقد ضاعت هويتهم ولغتهم وقوتهم وحاولوا فيما بعد البحث عن الذات والهوية كرد فعل لسياسة الرجل الأبيض." ومن أبرز الأدباء السود الذين عبروا عن محنة الإنسان الأسود في أمريكا الشاعر الأمريكي لانجستون هيوز (١٩٠٢-١٩٦٧م). ولأنه عاش التمييز العنصري في أمريكا فقد كرس حياته مدافعاً عن حقوق الإنسان وظل يحلم بالحرية. يستعرض هيوز في قصيدة:

'ولتكن أميركا من جديد' تاريخ الإنسان الأبيض على الوطن الحلم منذ وطأت أقدامه ثراه فكانت إبادته لمواطنيه الأصليين ثم استعباده لمن جلبهم سوداً من أفريقيا للعمل سخرة في الأرض والبسيت والمصنع مقابل لقيمات يعز منالها في معظم الأحيان . وقد عبر هيوز أيضاً في هذه القصيدة عن محنة الفقير الأبيض الذي خدع في الوطن الجديد وتبددت أحلامه على أرض لم يجد فيها غير الجشع وطغيان المادة، وقد رأيت أن أنقل القصيدة بكاملها فهي خير دليل على زيف شعار الحرية الذي ترفعه أمريكا وتنصب نفسها اليوم حارساً عليه، والقصيدة تقول:

ولتكن أميركا من جديد

لتكن الحلم الذي اعتدناه

لتكن من أتى هذا السهل

ينشد بيتاً يكون فيه حراً.

(أميركا لم تكن أبداً أميركا بالنسبة لي)

لتكن أميركا حلم الحالمين

لتكن أرض الحب العظيمة القوية

فهي لم تكن أبداً سكناً لملوك يتأمرون أو طغاة يكيدون

يسحق الأعلون فيها الأسفلين.

(أميركا لم تكن أبداً أميركا بالنسبة لي)

آه، لتكن أرضى مكانا

تنوج فيه الحرية بإكليل وطني غير زائف

فالفرة حقيقة، والحياة حرية،

والمساواة في الهواء الذي نتنفسه.

(لم توجد أبداً مساواة بالنسبة لى)
ولا حرية فى هذا الوطن.. "وطن الأحرار".
تكلم تكلم! من أنت الذى يتمم فى الظلام؟
ومن أنت الذى يسدل الستار على النجوم؟
أنا الفقير الأبيض، خُدعت وتحطمت،
أنا الزنجى أحمل نذب العبودية
أنا الرجل الأحمر الذى طُرد من الأرض،
أنا المهاجر محتضن الأمل المنشود -
لم أجد إلا ذات الخطة القديمة الغيبة
خطة أكل الكلب للكلب، وسحق القوى للضعيف.
أنا الشاب الملىء بالقوة والأمل،
كبلنى ذلك القيد القديم المتصل
قيد الريح والقوة والكسب واغتصاب الأرض!
واغتصاب الذهب! واغتصاب ما يشبع النهم!
تسخير البشر! قبض المال!
وامتلاك كل شئ إرضاءً للجبشع!
أنا المزارع، رقيق الأرض.
أنا العامل الذى بيع للآلة.
أنا الزنجى، الخادم لكم جميعاً.
أنا الناس، وضعيع، جائع، حقير -

جائع حتى اليوم رغم الحلم.
أضرب حتى اليوم - آه، يا أول من أتوا هنا!
أنا الرجل الذي لم يتقدم إلى الأمام أبداً
أفقر عامل يُقايض به عبر السنين.

لكني أنا الذي حلمت حلمنا الأساسي
في ذلك العالم القديم عندما كنت خادماً للملوك،
الذي حلم حلماً قوياً، شجاعاً وصادقاً
حتى انصبت أغانيه القوية الجريئة
في كل طوبية وحجر، وفي كل برية.

الذي صنع من أميركا الأرض التي صارت.
آه، أنا الرجل الذي أبحر منذ باكراً الزمن
بحثاً عما أقصده وطناً -

أنا الذي غادرت شاطئ إيرلندا الداكن،
وسهل بولندا، ومروج إنجلترا المخضرة،
ومن شواطئ أفريقيا السوداء أتيت
لكي أبنى وطناً للأحرار.

الأحرار؟

من قال الأحرار؟ لست أنا؟

مؤكد لست أنا؟

الملايين في راحة اليوم؟

الملايين مانت بطلقات رصاص فى إضراب؟
الملايين التى لم تتقاض أجرأ؟
رغم كل الأحلام التى حلمناها
وكل الأغاني التى غنيناها
وكل الآمال التى عشناها
وكل الرايات التى رفعناها،
فالملايين لم تتقاض أجرأ -
غير الحلم الذى أصبح اليوم ميتاً.
آه، لتكن أميركا من جديد -
الأرض التى لما تكن بعد ولكن -
ولكن يجب أن تكون - أرضاً عليها كل إنسان حر.
الأرض التى هى أرضى - أرض الرجل الفقير،
أرض الهندي، أرض الزنجى - أنا
الذى صنع أميركا،
الذى بعرقه ودمه، بإيمانه وألمه،
بيده فى المسبك، بمحراثه فى المطر،
يجب أن يعيد حلمنا القوى مرة ثانية.
لا ريب، سمنى أى إسم قبيح تختاره -
فصلب الحربة لا يصدأ أبداً.
من الذى يعيشون مثل الطفيل على حياة البشر،
يجب أن نسترد أرضنا مرة ثانية،

أميركا !

آه، نعم

أقولها بوضوح،

أميركا لم تكن أبدا أميركا بالنسبة لي،

ولكني أقسم

أميركا سوف تكون !

من حطام موتنا على يد عصابة مجرمين،

من الإغتصاب وعفن الابتزاز، من السرقة والأكاذيب

نحن، الناس، يجب أن نسترد

الأرض، المناجم، النبات، الأنهار،

الجبال والأرض الشاسعة -

كل شيء، كل هذه الولايات الممتدة اليانعة -

ونصنع أميركا من جديد! (١)

والحرية في أمريكا، كما يصفها هيوز هي حلم قد تأجل حتى أصابه العفن فيقول

في قصيدة "حلم تأجل":

ماذا حدث للحلم قد تأجل؟

هل جف

مثل كرم تحت الشمس؟

أم تقيح مثل جرح احتقن -

ثم اختفى؟

(١) انظر: Langston Hughes: "The Collected Poems of Langston Hughes", P.189-191.

هل أصبح نتنا مثل لحم أصابه العفن؟
 أم أنه قشرة يكسوها سكر
 تذيب مثل حلو قد شُرب؟
 ربما أصابه الوهن
 مثل حملٍ مثقل
 أو إنه انفجر؟^(١)

وقد غلب على شعر هيوز إحساس بالمرارة في وطن افتقد فيه الحرية وظل يحلم أن يكون ضياؤها للناس جميعاً دون أن ينتقص من هذا الحق ثمة مغايرة في جنس أو لون أو عقيدة. وكلما قرأنا شعر هيوز ازددنا تأكيداً أن فاقد الشيء لا يعطيه، فأمریکا ما زالت تمارس التمييز العنصري خاصة مع المسلمين والعرب أو من هم أصولهم عربية، وفوق كل ذلك فهي ما زالت تفتقد المصادقية التي هي جوهر الحرية.

وأخيراً يتعين القول أنه من خلال دراسة لبعض أعمال من الأدب الإنجليزي والأمريكي يتبين أن كتاب الغرب قد سعوا إلى خلق صورة قبيحة للشرق وكل ما هو عربي مسلم بقصد إقناع العالم أن شعوب هذه المنطقة تعوزها الحضارة والحرية ومن ثم على هذه الشعوب أن تقبل كل ما يصدر عن الغرب شاكرين له حسن صنيعه. والحقيقة أن كتاب الغرب وساسته قد جهلوا أو تجاهلوا فضل الشرق والعالم العربي على ما ينعم به الغرب الآن من حضارة، إن صح وصفها كذلك.. فحضارة الأمم لا تقاس بعدد القتلى والأسرى والمعتدين من الأمم الأخرى إنما بمقدار ما ساهمت به في إرساء القيم الإنسانية ونهضة العلوم بما يتفق وتلك القيم. فقد استفاد الغرب من علوم الشرق وطورها، واستعمر شعوبه ودمرها، ونهب ثرواته لتقوم عليها صناعاته. لقد تكشف لنا زيف ادعاء الغرب بأنه يسعى لزراعة الحضارة أو نشر الحرية في البلاد التي يستعمرها، فنحن نعلم تماماً كيف تركوا هذه البلاد بائسة، وأمام أعيننا الآن ما آل إليه الحال في

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

العراق تحت استعمار جديد لا يعلم إلا الله نهاية هذا النفق المظلم الذي أدخل فيه تحت ذريعة نشر الحرية والديمقراطية.

وبالتالي فإنه على كل مؤسسات الدولة بالتعاون مع الدول العربية والإسلامية أن تتكاتف في سبيل دراسة أدب الغرب والأدب الإنجليزي بصفة خاصة سواء في لغته الأصلية أو عن طريق ترجمته وتحليله حتى يتكشف ما يضمرة من ادعاءات زائفة ونوايا خبيثة. ويأتي دور الجامعات وأقسام اللغات الأوروبية بها في تيسير تلك المهمة سواء في الترجمة أو في تحديث وانتقاء مناهجها بما يتفق وقضايا العصر ويساعد على فهم الآخر واستقراء نواياه، ومن ثم الاستعداد بالتخطيط الجيد للمدرّس لمواجهة الأخطار التي تهدد العالم العربي والإسلامي.
